

التراث الفني المشترك بين ضفتي الصحراء (بلاد المغرب و أفريقيا جنوب الصحراء)
من القرن 16 إلى القرن 19م -الفنون الشعبية أنموذجا -

*The mutual heritage between the two Sahara's banks
(The Maghreb and Sub-Saharan Africa)
From the 16th to the 19th century - folk arts, as a model*

1-احمد جعفري*، جامعة غرداية (الجزائر)

jaafri.Ahmed@univ-ghardaia.dz

2- صالح بوسليم، جامعة غرداية (الجزائر)

Salah_ghar@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2021/10/04 تاريخ القبول: 2021/12/09 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص: تهدف هذه الدراسة الى ابراز بعض مظاهر التواصل الثقافي بين بلاد المغرب وافريقيا جنوب الصحراء لاسيما التراث المشترك في مجال الفنون الشعبية من القرن 16 الى القرن 19م ولئن كان لهذا التواصل والترابط مسباته ودوافعه وأهدافه من التجارة الى الدين واللغة، كل حسب الظروف والحاجة، فقد عرفت تلكم العلاقات الثقافية اندماجا اكبر في مجال الفن والموسيقى رسمته تلك الآلات والمعازف المشتركة وتغننت به الافواه والقرائح بالمقاطع والمدائح المتنوعة، والتي كان يصحح بها في سمر وسهرات طويلة، مثل الاحتفال بالأعياد والمواسم تعبيراً عما يجول بخاطرهم، وتصويراً لحالهم وواقعهم. وتخلص هذه الورقة البحثية للتأكيد على ان هذا التراث المشترك ساهم في تمتين تلك الروابط والشائج على طول فترة التواصل وحتى يومنا هذا، وهو ما يفرض ضرورة بعثه والاعتناء به.

كلمات مفتاحية: التراث الفني المشترك، بلاد المغرب، أفريقيا جنوب الصحراء، المعازف

Abstract: This research paper aims to highlight some aspects of cultural communication between the Maghreb countries and sub-Saharan Africa (Sudan), especially the common heritage in the field of folklore from the 16th to the 19th century. And while this communication and interdependence had its causes, motives, and goals from trade to religion and language, each according to circumstances and need, these cultural relations knew a greater integration in the field of art and music drawn by these common instruments and musical compositions sang by talented singers from the various syllables and praised, which used to be heard in the extended evenings and nights such as celebrating .

Keywords: mutual artistic heritage, Maghreb countries, Sub-Saharan Africa

مقدمة

يُجزم الكثير من المؤرخين وعلماء التراث أنّ التواصل بين ضفتي الصحراء (بلاد المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء) ليس وليد الفترة الحديثة، بل يعود لزمان يسبق ذلك بكثير، ودليلهم تلك النصوص التاريخية والأدبية التي دَوَّنها الرحالة العرب والأوروبيون عن تلك البلاد في رحلاتهم الكشفية ومغامراتهم الشخصية والتي جابوا خلالها أقاصي الصحراء وصوروا لنا مختلف ألوان الفنون الشعبية وغيرها من الممارسات التراثية المشتركة بين حواضر الصحراء وبلاد السودان في حديثهم عن مواطن التلاقي وأسس التفاعل القائمة بين الطرفين منذ العهود القديمة ، وعليه فالعلاقات الثقافية بين المغرب وبلاد السودان عتيقة تسبق فترة الفتح الإسلامي، وقد عرفت هذه العلاقات تطورا مشهوداً في ظل الدعوة الإسلامية وانتشارها في أفريقيا جنوب الصحراء، وشكّل ذلك العهد انفتاحا كبيرا على الثقافات الإفريقية في ممالك مالي، وسنغاي، والكانم-برنو، وغيرها، تواملا كان مبنيا وقائما على أسس من الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر في حركة دائبة يطبعها المد والجزر، تماشيا والأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تشهدها بلاد المغرب وشعوب الصحراء الإفريقية.

وانطلاقا من ذلك، نسعى من خلال هذا البحث للإجابة عن مجموعة من التساؤلات، وهي كالآتي.

- متى وكيف كانت بدايات التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان؟

- أين تكمن قنوات التواصل الثقافي والفني بين الضفتين؟

- فيم تتجلى مظاهر التراث المادي واللامادي المشترك في مجال الفنون الشعبية؟

● -كيف يمكن إعادة بعث لهذا التراث وما سُبُل المحافظة على ما بقي منه؟

1. **بدايات التواصل طُرْفُه وقنواته:** جمعت الصحراء الأفريقية الكبرى الواصلة بين بلدان الساحل الإفريقي وبلاد المغرب بين بساطة السطح من جهة، وقساوة الطبيعة، وجفاف المناخ من جانب آخر، ورغم ذلك التناقض الطبيعي والبيئي، فإن هذه الصحراء لم تقف يوماً حاجزاً أمام مرور مختلف المؤثرات الروحية والتجارية، بقدر ما كانت تعد عاملاً رئيسياً نات بفضله عن مختلف المؤثرات السياسية والعسكرية⁽¹⁾.

وإذا ما حاولنا العودة إلى منطلق تلك العلاقات؛ فهي لا شك ترتبط بتواجد الانسان في تلك الأوصاف وحاجته الشديدة للتنقل بحثاً عن الماء والكأ باستخدام الوسائل الممكنة لبلوغ مراده، وفي معرض حديث هيرودوت عن سكان ليبيا القدماء وتنقلاتهم يتحدث عن استخدام الخيول والعربات والجمال في حركة القبائل وهجرتها في الصحراء بعيداً عن مجال تأثير الرومان⁽²⁾. ووصف سكان الصحراء في المجالين السوداني والصحراوي بالإثيوبيين أو ذوي البشرة المحروقة الذين لفتحهم أشعة الشمس⁽³⁾. ولا شك أنّ تلك الحركة الدائمة والمستمرة للقبائل بين الضفتين كانت موجودة منذ فترة جد مبكرة، وكانت أحد دعائمها الأساسية. ومن فجر التاريخ تلك الجماعات البشرية المغاربية العربية والبربرية التي استقرت ببلاد السودان، وحتى التي قدمت من شمال شرق القارة الإفريقية "مصر". ويقابل ذلك هجرات معاكسة من قبائل الفلان، والسوننكي، والولوف لأطراف الصحراء الجنوبية لبلاد المغرب⁽⁴⁾.

1.2 التجارة والطرق التجارية

وعلى مدى فترة طويلة غير محددة وسابقة للإسلام وانتشاره، كان للقبائل البربرية والسودانية المتنقلة بين المجالين دور أساسي في وضع اللبنة الأولى للعلاقة بين بلاد المغرب وبلاد السودان؛ قوامها المبادلات التجارية، التي أدت إلى فتح معابر وخطوط تجارية تمتد من الشمال إلى الجنوب عبر الصحراء في اتجاه

(1)- عوض محمد عوض، الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، 1965م، ص345.

(2)- حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيطي "موريتانيا"، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م، ص19.

(3)- بوبه بن محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، نواكشوط، جامعة نواكشوط، 2000م، ص ص80-81.

³- الفاتح الشيخ، "مظاهر الحضارة الإسلامية في الممالك الإفريقية"، مجلة قراءات أفريقية، ع17، أكتوبر-ديسمبر 2012م، ص12.

نهري السنغال والنيجر⁽¹⁾، وأخرى تمتد من الجنوب في اتجاه شمال الصحراء إلى حدود السفوح الجبلية للأطلسين. وبوصول الإسلام تضاعفت تلك المسالك وعظمت أهميتها الاقتصادية والثقافية⁽²⁾.

ومن أبرز تلك الطرق؛ على سبيل المثال لا الحصر⁽³⁾:

- طريق ينطلق من فاس باتجاه سجلماسة إلى أروان وصولاً إلى غانا.

- مسلك ينطلق من وادي درعة إلى قلب السودان عبر "ولاته".

- طريق آخر ينطلق من تلمسان باتجاه توات وصولاً إلى تمبكتو وغاوا⁽⁴⁾.

- ينطلق طريق ثالث من شمال الجزائر إلى ورقلة ثم غدامس؛ وصولاً إلى غادس ثم تادمكة ومنها إلى تمبكتو⁽⁵⁾.

وقد أدت هذه الطرق التجارية وغيرها دوراً بارزاً في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في بلاد السودان ودول الساحل، وهي إلى جانب الطرق الصوفية والعلماء والدعاة؛ تُعد أحد أهم الروافد والوسائل التي غيرت المجال الثقافي والفني في بلاد السوادين. وقد أفضت المبادلات التجارية إلى خلق نواة لجاليات بربرية استقرت بالسودان، وأخرى سودانية استقرت بصحراء بلاد المغرب، وأفترزت كلتاهما مجتمعات مولدة ذات ثقافات مختلطة كانت حصيلة طبيعية للتزاوج والتصاهر بين الطرفين⁽⁶⁾.

(1)- بهيجة الشاذلي، الإسلام والدولة في إفريقيا جنوب الصحراء: الفكر السياسي عند عثمان بن فودي خلال القرن 19 م، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، 2015م، ص48.

(2)- عبد العزيز بن عبد الجليل، التراث المغربي الأفريقي المشترك في مجالي الموسيقى والغناء، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2014م، ص11. عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2008م، ج2، ص68-69.

(3)- Emerit, M, Les Liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au 18e et au début du 19e siècle, in travaux de l'Insti. De Rech., sah, T11, Alger1954, P42.

(4)- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص29.

(5)- يعي بوعزيز، تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ط.خ، دار البصائر، 2009م، ص41-42.

(6)- أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، نشر البارون دي سلان، باريس 1857م، ص172.

وفي ظل ذلك التمازج التجاري والقبلي دائماً؛ أسست محطات تجارية تحولت بمرور الزمن لمراكز حضارية؛ اندثر بعضها ولا يزال البعض الآخر منها شامخاً ومقاوماً لعوادي الزمن وتقلباته، ومن تلك المراكز نذكر:

2.2 بعض المدن والحواضر:

-سجلماسة: تقع وسط واحة كبيرة جنوب الأطلس الكبير مقابلة لمدينة الريصاني في تافيلالت جنوب المغرب الأقصى. يقول عنها بعض الباحثين بأنها: "...ثاني مدينة إسلامية تشيد بالغرب الإسلامي بعد القيروان، فقد أجمعت بعض المصادر أن سجلماسة بُنيت عام 140هـ/757م⁽¹⁾، وقد أهلها موقعها الاستراتيجي في التحكم ولمدة طويلة في تجارة القوافل بين بلدان المغرب وبلاد السودان الغربي⁽²⁾، حيث شُيّدت هذه المدينة من قبل خوارج مكناسة الصفيرية في قلب واحة خصبة كانت عبارة عن مراعي يؤمّها عدد من الرحل لتبادل منتوجاتهم⁽³⁾. وفي هذا الصدد يقول بن حوقل عن ذلك: "...كانت القوافل تجتاز المغرب إلى سجلماسة وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون"⁽⁴⁾. وكان تجار سجلماسة على اتصال دائم مع تجار أوروبا وبلاد المشرق، بل وتوجهوا إلى بلاد السودان؛ وهو ما يؤكّده بن فضل الله العمري بقوله: "إن السجلماسيين كانوا أغنياء ويتاجرون مع بلاد السودان، فهم يصدرون إلى هاته البلاد الملح والنحاس ويستوردون منها بالمقابل الذهب"⁽⁵⁾. وبمرور الزمن واندماج القبائل المقيمة هناك وهنالك؛ من عرب وبربر وزنوج، حيث تداخلت الثقافات والعادات المكونة لكل مجتمع ولم تعد حكراً عليه، بل تعدّته إلى غيره زماناً ومكاناً، وهو الوضع نفسه في ميدان الفنون الشعبية (الفولكلور).

(1) -لحسن تاوشيخت، "سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء"، ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، مراجعة وتقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1999م، ص 225.

(2) - تحدث عنها الحسن الوزان بقوله: "مدينة سهلية حولها أرباض كثيرة ولها سور كبير له اثنا عشر بابا ولها نهر، وهي أول الصحراء ومنها يدخل إلى بلاد السودان". و"وصف إفريقيا، تز: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج2، ص ص 120-121.

(3) -لحسن تاوشيخت، المرجع السابق، ص 225.

(4) -ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، 1979م، ص 65.

(5) - شهاب الدين العمري ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المطبعة الشرقية، باريس، 1927م، ص 201.

- توات: تقع بالجنوب الغربي للجزائر، وكانت تتوسط طرق التجارة الصحراوية في الفترة الحديثة، وقد ورد ذكرها في كثير من المصادر العربية والأجنبية⁽¹⁾. ولا تزال توات إلى اليوم تحتفظ بجانب من ذلك التواصل مع بلاد السودان. وكانت مناطقها الثلاث تُعد بوابات رئيسية للربط مع أفريقيا جنوب الصحراء، ونلمس الأثر الإفريقي في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية بتوات، وقد أسهم التواتيون بدورهم ولقرون في تجارة بلاد السودان، ونقلوا بفضل ذلك تراثهم الديني واللغوي والفني، وتأثروا بدورهم بما وجدوه لدى القبائل السودانية⁽²⁾.

- غدامس: تُعد من أقدم المدن الصحراوية تأسيساً، وكانت تُعرف بـ "لؤلؤة الصحراء"، وهي تقع إلى الجنوب الغربي من طرابلس⁽³⁾. كما خضعت قديماً لسيطرة الإغريق ثم الرومان إلى أن فتحها المسلمون سنة 664هـ/664م على يد الفاتح عقبة بن نافع الفهري (ت. 683هـ/683م). وقد أهلها موقعها الجغرافي لتكون حلقة وصل بين شعوب البحر المتوسط وقلب القارة الأفريقية؛ إضافة إلى اعتبارها إحدى البوابات الرئيسية للصحراء الكبرى، وملتقى لمختلف القوافل التجارية القادمة من الشمال والجنوب أو الشرق والغرب، ومركز التقاء الحجاج من النطاقين المغربي والسوداني⁽⁴⁾. وأدت دوراً كبيراً في نقل مختلف المؤثرات الثقافية بين الحواضر الصحراوية، ولا تزال إلى اليوم تحتضن كثيراً من صور التلاقي والترابط من التراث المادي واللامادي الإفريقي المغربي.

- غات: تقع مدينة غات في الجنوب الغربي من ليبيا؛ مُقابل الحدود الجزائرية الليبية، في منطقة موغلة في القدم، وأغلب السكّان فيها من الطّوارق، والبعض منهم من الأمازيغ، وأقلية قليلة من سكان المدينة يتكلمون بلغة الهوسا، وذلك لأنهم من أصول زنجية جاءت من بلاد السودان⁽⁵⁾. وتعتبر غات مركزاً تجارياً

(1) - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18-19م، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977، ص01. ينظر أيضاً صالح بوسليم، إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13هـ / 18-19م، ط1، منشورات مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط، 2019م، ص ص13-14.

(2) - محمد أعيف، توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2014، ص05.

(3) - بشير قاسم يوشع، غدامس ملامح وصوره، ط2، الناشر الشخصي، 2001م، ص 22.

(4) - بشير قاسم يوشع، المرجع نفسه، ص 22-24.

(5) - جمال الدين الدناصوري، جغرافية فزان دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي 1967م، ص159.

عظيماً في الصحراء، وهي تقع على طريق القوافل التي تغدو وتروح بين مدن الشمال الأفريقي وبلاد السودان.⁽¹⁾

- تمبكتو: تُلَقَّب بجوهرة الصحراء وبالمعجزة وبالساحرة وغيرها من المسميات كانت عاصمة لمملكة مالي، ثم عاصمة اقتصادية لإمبراطورية سنغاي. وعرفت قمة ازدهارها خلال فترة حكم الأخيرة، تغتني بها الشعراء، وكانت مأوىً ومسقطاً لكثير من العلماء والزهاد والصالحين قصدوا الرحالة والمغامرون من عرب وأوروبيين، وهناك من دفع حياته ثمناً للوصول إليها بغرض اكتشافها ونقل بعض من أخبارها⁽²⁾. يقول عنها السعدي في كتابه تاريخ السودان: " مادنتسها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء والعابدین ومآلف الأولياء والزاهدين"⁽³⁾.

ومن الطبيعي أن تكون تمبكتو بتلك الأهمية؛ فجمعت بين كونها ملتقى لمختلف الثقافات وملتقى للتجار من المغاربة والسودانيين.

ويجب أن نشير، بأن تناولنا لهذه النماذج من المدن والحواضر لا يعني أنها الوحيدة، ولكن لكونها حملت صور بارزة من أوجه ذلك التأثير والتأثر لفترات زمنية طويلة، وهي اليوم تعيش ذلك التمازج في مختلف صوره بين بلاد المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء .

3-2 الطرق الصوفية:

إن الحديث عن الطرق الصوفية متشعبٌ جداً، وإنما نريد فقط أن نشير إلى أنها تندرج ضمن الروابط الثقافية التي دخلت من حواضر بلاد المغرب إلى أفريقيا جنوب الصحراء، وذلك في سياق اهتمام المغاربة بنشر الإسلام بتلك الديار، حيث عنوا بتأسيس الطرق الصوفية التي وجدت طريقها إلى بلاد السودان،

(1) - يذكر الشيخ الحشائشي في رحلته: "...إن غات هي مركز عظيم للتجارة الصحراوية ولها تجارة كبيرة مع أهل توات...". ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تقديم وتحقيق: على مصطفى المصراتي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت 1965م، ص 118.

(2) - جوزفين كام، المستكشفون في افريقيا، ترجمة، السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة 1983م، ص 182.

(3) - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م، ص 30.

فقد دخلت الطريقة القادرية في القرن السادس عشر ميلادي، وكان من أبرز أتباعها في هذا القرن الشيخ أحمد البكاي بودمعة⁽¹⁾، وتلتها الشاذلية، والتيجانية، وغيرها من الطرق الدينية⁽²⁾.

وقد أدت هذه الطرق دوراً دينياً وسياسياً مهماً له كبير الأثر في تاريخ وحضارة أفريقيا جنوب الصحراء ونهضتها، حيث صار كل مسلم في هذه القارة يرى ضرورة ارتباطه بإحدى الطرق الصوفية التي أقامت الزوايا للعبادة ولإيواء الوافدين والقيام على شؤونهم، في الوقت نفسه؛ فإن الدور الذي أدته الطرق الصوفية في المجال الاقتصادي لا يقل بحال من الأحوال عن الدور السياسي في نشر الدعوة الإسلامية.

وإلى جانب عنايتها بنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، فإنها شكّلت خلايا حية لنشر بعض التقاليد الموسيقية الغنائية عن طريق قراءة الأذكار والأوراد والأناشيد الدينية وتسميع المدائح النبوية، مما لا تزال آثاره قائمة في الزوايا والمدارس الدينية المنتشرة في هذا الفضاء⁽³⁾.

وعندما نستحضر حركة التداخل أو التمازج العرقي والاختلاط البشري القوية بين العناصر الزنجية الأفريقية والعناصر التي وفدت من بلاد المغرب؛ فسوف لن يشق علينا أن ندرك أيضاً كيف تسربت المؤثرات الموسيقية بين الطرفين، وكيف أقبل هؤلاء على ترجيع أهازيج أولئك، ثم كيف انتقلت إلى هذه الأهازيج صنوف من التغيير والتحريف أفضت مع مرور الزمن إلى بروز صياغات وقوالب فنية مبتكرة تحكّمت في صنعها عوامل البيئة، إلى جانب طبيعة الآلات المحلية ومواد صنعها وطرق تسويتها.

ومثلما أفضى تمازج العناصر المتساكنة في الجزيرة الأيبيرية بعد أسلمتها إلى نشوء ما اصطلح عليه اليوم بالموسيقى الأندلسية، حيث تسود "النوبة" كقالب مميز للتراث الموسيقي في الشق الغربي من العالم الإسلامي، فكذلك نستطيع الاطمئنان إلى القول بأن كثيراً من النماذج الموسيقية التراثية المتداولة في

(1) - ذكر عنه البرتلي، أنه: "كان من عباد الله الصالحين والأولياء المعروفين المشهورين، يزوره الناس من كل فج في كل ساعة، يزوره الشرفاء والأولياء والصالحون وغيرهم، وأكثر الناس زيارة له الغرباء وأهل التل والمسافرون الذين يأتون بالتجارة من جهة الشمال"، ينظر البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 30-31.

(2) - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، مكتبة مدبولي، القاهرة (د.ت)، ص 27. محمد حوتية، توات والأزواد، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ج1، ص ص 179-213.

(3) - عبد الحميد عابدين، دراسات سودانية، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ط2، 1972م، ص 113.

التراث الفني المشترك بين ضفتي الصحراء (بلاد المغرب و أفريقيا جنوب الصحراء) من القرن 16 إلى القرن 19م -
-الفنون الشعبية أنموذجا-

منطقة غرب القارة السمراء وفيما يلي هذه المنطقة شمالا حتى فجاج الأطلس الصغير وأعلى الأطلس الكبير، هي نتاج أبناء هذه المناطق وثمره امتزاج فنونهم الموسيقية.

3- المديح والاغاني

وصف الفلقشندي أهل السودان بأنهم بارعون في الغناء والرقص والموسيقى⁽¹⁾. وأما مارمول كاريخال؛ فيقول عنهم: "أهل السودان أشخاص يتصفون بالليونة والطرافة وحسن المعاملة والبشاشة يغنون ويرقصون على نغمات طبول ومزامير"⁽²⁾، ووصفهم الوزان بقوله: "وقد فطر أهل تمبكتو على المرح وتعودوا على التجول في المدينة بين الساعة العشرة ليلا والواحدة صباحا وهم يعزفون على آلات الطرب ويرقصون"⁽³⁾. واللافت للانتباه أن الأفريقي على وجه الخصوص؛ تجري الموسيقى في دمه من المهد إلى اللحد على حد تعبير كيربي(فنان أوروبي مشهور). ومهما كانت المناسبة في الحياة الأفريقية، فلا بد أن تكون هناك موسيقى، وتصحب الموسيقى احتفالات جلب الأمطار، ومناسبات الميلاد، والبلوغ والزواج، والمرض، والموت، ولكل من هذه الاحتفالات أغان وموسيقى خاصة⁴.

وما يهمنا من تلك الأشكال والألوان ما عُرف امتداداً بين ضفتي الصحراء. فأين تتجلى مظاهر التراث المشترك في ميدان الفنون الشعبية (الفولكلور) بين المجالين الأفريقي والمغاربي؟.

1.3 نماذج من المدائح والاغاني: ليس من السهل التأريخ للموسيقى الصحراوية مغربية كانت أو أفريقية، خاصة في غياب التدوين الخاص بمثل هذه الفنون، إلا أن تجاوز هذا الأمر يكمن في الاعتماد على ما بقي من الأسر الموسيقية العريقة التي ورثت الفن عن الآباء والأجداد شفويا وتطبيقيا. ومن أشكال الأغاني والموسيقى؛ نجد:

(1) - أبو العباس أحمد الفلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، 1340 - 1922م، ج3، ص224.

(2) - مارمول كاريخال، أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، المعارف الجديدة، الرباط 1984م، ج3، ص203.

(3) - الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، 167.

⁴ -حلي شعراوي، الثقافة والمثقفون في أفريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2016م، ص184.

-آزوان: تُعد المناطق الصحراوية المتاخمة لبلاد السودان الغربي المواقع الأكثر تأثراً؛ باعتبار الجوار وسهولة التنقل والأكثر معايشة لعملية التواصل بينها وبين بلاد المغرب، ففي موريتانيا مثلاً (بلاد شنقيط) نقف على الموسيقى الحسانية "آزوان" وهي تغطي أقاليم وادي الذهب والجزء الشمالي من بلاد شنقيط.

وقد توصلت الدراسات إلى أن ظهور هذا الفن كان مع دخول المرابطين للمنطقة وترسخ مع مجيء بني حسان بعد ذلك في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. ومن بين الإمارات الموريتانية التي ازدهر فيها هذا الفن، إمارة أولاد مبارك في منطقة الحوضين، حيث يتخذ الأمراء المغنين جلساء لهم ووسيلة إعلامية لهم في الحروب وإرساء مجد القبيلة والإمارة⁽¹⁾.

تندرج مستعملات الغناء الحساني ضمن نمطين هما: "لغن"، و"آزوان"، أما الأول فيراد به الشعر الحساني الشعبي المغنى، وهو يقارب في نظمه الزجل، ويضطلع بأدائه طائفة من المغنين يدعى الواحد منهم "أنشاد" وهو شاعر متجول يرتاد المناسبات الاحتفالية ويرفع عقبرته بالغناء مشيداً بهذه المناسبات وبالمشرفين عليها، ومع احترافه للغناء فهو يترفع بنفسه عن أن يتخذ منه وسيلة للتكسب وطلب الرزق⁽²⁾.
وأما النمط الثاني "آزوان"؛ فهو عبارة عن سلسلة من الأغاني والمقطوعات الغنائية تقوم على مقاطع من الشعر الحساني يضطلع بأدائها مغنون يطلق على الواحد منهم اسم "ايكيو" جمع "نيكاون" واصل لفظة "ايكيو" في لغة الولوف لما وراء نهر السنغال⁽³⁾.

ويعتقد الشنقيطي⁽⁴⁾ أن أصول هذه التقاليد تسربت من البلاد الأفريقية إلى الشمال؛ لتدل بذلك على مدى تأثير الموسيقى الأفريقية في المناطق الصحراوية، خاصة منها الترازو والحوض، وهو يستشهد هنا بمشهد سجله بن بطوطة في رحلته لمملكة مالي، عند وصفه لحاشية منسى سليمان سلطان مالي" وقد وقف بين يديه المغني والى جانبه الجوارى والمغنيات يرقصن ويلعبن بالقسي"⁽⁵⁾.

(1)- محمد فال ولد سيدنا، الموسيقى الحسانية (آزوان)، وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان، موريتانيا، نوفمبر 2015م، ص 35.

(2)- عبد العزيز بن عبد الجليل، المرجع السابق، ص 67.

(3)- نفسه، ص 69.

(4)- أحمد أمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم ادباء شنقيط، ط3، مكتبة الوحدة المغربية بالدار البيضاء، 1960م، ص 75.

(5)- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت 1987م،

ولتأكيد ما نذهب إليه من تأثر الشعوب الأفريقية بتقاليد الموسيقى المغربية، نشير إلى الاحتفالات الشعبية التي يقيمها التشاديون في أحياء "نجامينا"، فإن العادة في هذه الاحتفالات التي يطلق عليها اسم "شاي في الساحل" تقضي أن تتقدم الفرق الغنائية، ومن بينها فرقة "الغايطة"، وهي فرقة تستمد تسميتها من آلة الغيطة ذاتها؛ فتشخص أدوارها الغنائية الراقصة على إيقاع طبول الكانكا⁽¹⁾.

ولقد ساعد انتشار الطوارق في مالي وتشاد على تسرب ظاهرة الشعراء المغنين إلى الديار الأفريقية، وشكّل هؤلاء فرقا متجولة تغني باللغة العربية اسموها "تيناريون"⁽²⁾. ويأتي على رأس الفرقة موسيقي محترف يعرف باسم "كُريو"، وهو قوال متكسب على غرار "إيكاون" يختص بمدح عليّة القوم من الحكام والاثرياء.

وتعتبر ظاهرة الكريو ضاربة في عمق التاريخ الأفريقي القديم، إذ يعتقد الباحثون أن هؤلاء الشعراء المغنون يمثلون الذاكرة الحية للشعوب الأفريقية ولتراثها الغنائي وأنّ موسيقاها تستمد أصولها من أغاني الكريو الذين كان مهدهم الأول في مملكة الماندينغ، التي يرجع تأسيسها إلى عام 1230 م، وبلغت أوج قوتها في القرن الرابع عشر الميلادي.⁽³⁾

ولنا أن نخلص بعد هذا إلى أن ظاهرة التغني بفن "أزوان" استطاعت أن تمتد جنوبا إلى البلدان الأفريقية، وذلك في موازاة استقرار المور (Mauris) في هذه الربوع، وهم مزيج من الإثنيات التي تمت بالصلة إلى أصول زنجية وأمازيغية وعربية، اتخذوا من أغاني أزوان أداة لتمجيد الأعيان من ذوي النفوذ والمال.

2.3 الموسيقى الأندلسية: ويظهر تأثير هذه الموسيقى من خلال تسرب السُّلم الخُماسي إلى منظومة الطبوع المستعملة في أفريقيا جنوب الصحراء، ويعتبر هذا التأثير صورة حيّة لقوة التلاحم بين الموسيقى الأندلسية المغربية والموسيقى الزنجية، نظرا لكون الموسيقى الأندلسية تشكل أرقى أنواع الموسيقى وأكثرها تجسيدا للمستوى الحضاري الذي بلغه فنُّ الموسيقى في فترات ازدهاره بالمغرب والأندلس، وليس طبع الرصدِ وقفاً على الموسيقى الأندلسية بالمغرب، ولكنه ناب عن الطرب الغرناطي، حيث استقل بنوبة كاملة أيضا، كما ناب مالوف قسنطينة، ومالوف تونس، حيث يغطي ما تبقى من صناعات نوبة ضائعة. وفي

(1)- عبد العزيز بن عبد الجليل، المرجع السابق، ص 29.

(2)- نجد هنا أن الكلمة على وزن صيغ لكلمات أمازيغية من قبيل نيمارين...، وتعني لفظة تيناريون الفيافي والصحاري.

(3)- إبراهيم طرخان، مملكة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973 م، ص 223.

هذا الصدد يقول الباحث التونسي الدكتور صالح المهدي: " أنه كان يتواجد ما يعرف باسم رصد عبيدي؛ نسبة إلى العبيد، وقد اصطلح عليه بعد تأسيس المعهد الرشيد في تونس سنة 1934م بأن يكون رصد من دون نسبة".⁽¹⁾

3-3- أغاني كناوة: يسجل لنا الوزان الفاسي ظاهرة تكاثر فرق كناوة بفاس في أواخر فترة بني وطاس (ق16م)، وهو يذكر أنها كانت تعزف أنغامها الخاصة. وفي هذا ما يدل على انصهار هذه الأجواق في بوتقة المجموعات الشعبية على ذلك العهد.⁽²⁾

وتحمل فرقة كناوة ؛ باعتبارها مجموعة شعبية تمثل أحد أنماط التراث الغنائي الشعبي في بعض الحواضر المغربية، جملة من التراكيمات ذات أصول وجذور أفريقية ومغربية مشتركة استطاعت أن تتلاحم خلال عهود طويلة، وأن تفضي إلى نشوء نمط فني مبتكر له خصائصه ومميزاته، سواء على مستوى المكونات البنيوية والإيقاعية، أو على صعيد أساليب الأداء والعرض وأدوات العزف واللوان الحركات الإيمائية والرقصات والشطحات المعبرة، وما يغلف كل ذلك من أساطير ورموز.⁽³⁾ ومهما اختلفت الروايات في تحديد تاريخ بروز ظاهرة كناوة بالمغرب، فمن المؤكد أن جذورها الأولى كانت قائمة به منذ عهد مبكر لعله يبدأ مع العهد المرابطي، ومع افتقارنا إلى المرجعية الكتابية المبكرة، فإننا نقف على ما سجله بن غازي المكناسي في معرض حديثه عن أحد علماء مكناس أيام الموحدين، حيث خرج للقاءه أهل تاورا ومعهم عبيد السودان وهم يغنون ويرقصون والزامر يزمز عليهم بأبي قرون"⁽⁴⁾، وهو حسبما ذكره صاحب كتاب "تذكرة النسيان" يشبه البوق الكبير بالسودان.⁽⁵⁾

وبالعودة إلى دواعي إطلاق لفظ "كناوة" على هذه الفرق؛ فنقف على آراء وتأويلات متعددة ومتباينة، غير أنها تلتقي جميعها عند نسبة هؤلاء إلى أفريقيا السمراء. ويرى الباحث الأمازيغي المغربي محمد ابزيكا أن لفظ "الكنأوي" تكييف عربي للفظة "أكناو" الأمازيغية التي تعني خاصية في الجهاز الصوتي بالنسبة للمستمع الأمازيغي، ولكنه يعود ليضيف أن لفظة "أكناو" بدورها مقاربة للفظة "انكوني" (ngoni) التي يراد بها آلة الهجوج الكناوية في مالي⁽⁶⁾، وفيما يرى البعض أن تسمية كناوة ترجع إلى قبيلة

(1) -عبدالعزیز بن عبدالجلیل، المرجع السابق، ص 45.

(2) -الوزان، المصدر السابق، ص 205.

(3) ابن المختار، تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان، مخطوطات الغرب الأفريقي، 1901م، ص 45.

(4) -ابن غازي، الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون، مطبعة الأمنية، فاس 1952م، ص 31.

(5) -ابن المختار، المرجع السابق، ص 45.

(6) -ابن غازي، المرجع السابق، ص 53.

الكانكا الواقعة بين تمبكتو وتلاندي بالسودان الغربي، ويزعم آخرون أنها محرفة من لفظ "غينيا" الأفريقية، في حين يرى الموسيقار التونسي صالح المهدي أن نسبة الكناوي ترجع إلى مدينة "كانو" في نيجيريا.⁽¹⁾

وقد تلونت الموسيقى في كل من تونس والجزائر وليبيا بالطابع الزنجي الصرف، حيث أن الطبل والمزمار الأفريقيين كانا مألوفين جداً، بل إن الغناء الزنجي في طرابلس كان هو السائد في حفلات الأعراس، والتي كان يقوم بها مغنيات يعرفن باسم "الزمزمات" ويصاحبه رقص وثيق الصلة بالرقص الأفريقي.⁽²⁾

4- الآلات الموسيقية:

يأتي النظر في الآلات الموسيقية ليؤكد بدوره عمق التفاعل والتواصل بين الموسيقى المغربية والأفريقية، فقد كانت في مقدمة ما تبادلته ممارسو الغناء، ثم تناولوها بتعديلات وتحويلات مسّت شكلها وكيفية صنعها وتركيب اجزائها، وطبيعة موادها، وطريقة تسويتها. ومن خلال الأدوات التي تستخدم في مصاحبة الأغاني الصحراوية أو التي تستعملها فرقة كناوة، والروايس، وأحواش وغيرها، نقف على مجموعة كبرى من الآلات تحمل مزيجا من الملامح والسمات التي لا يتطرق الشك إلى نسبة أغلبها للديار الأفريقية، ومن أبرزها نجد:

-الكنبيري: أو الهجهوج، وهي الآلة الرئيسية عن كناوة، وفيما تذهب الروايات إلى أن أصله من أفريقيا، حيث يسمى "انكوني" يميل العازف المالي المعاصر على هذه الآلة "بنزومانا سيسوكو" إلى القول بأن هذه الآلة هي أخت الهجهوج، وأنها انتقلت إلى أفريقيا مع الفتح الإسلامي، ومن ثم لازم استخدامها الأغاني الدينية؛ وغدت الأداة المثلى في مصاحبة منشدي قصيدة البردة في الزوايا، وهناك من يرى أن السودانيين يستعملونه في مدائحهم وأغانهم، ويسمونه "القيقو" أو "القوقي"⁽³⁾. وهذه الآلة عبارة عن صندوق إحصاي الشكل، ينحت من جذع الشجر بعد قطعه إلى شطرين في اتجاه العرض، ويغطى وجهه بقطعة من جلد البقر أو الجمل، فتمد بشكل متوتر تجعل الآلة رنانة عند العزف، وينطلق من الصندوق قضيب

-عبدالعزیز بن عبدالجلیل، المرجع السابق، ص 47. (1)

(2) - عبدالجلیل التیمی، "الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب أفريقيا خلال العصر الحديث"، المجلة التاريخية المغربية، السنة الثامنة، العدد 21، 22، 1981م، ص 22.

(3) - عبدالعزیز بن عبدالجلیل، المرجع السابق، ص 49.

أسطوانتي الشكل تشد في جانبه أوتار من المصران بواسطة خيوط متينة بها عقد تقوم مقام اللولب والعادة أن تعلق بهذه الآلة أصداف بقصد الزينة⁽¹⁾.

- العود: تجمع الروايات والشهادات على أصله العربي، ومن الروايات المبكرة التي تشير إليه بغرب أفريقيا ما ذكره الرحالة الفرنسي رونيه كايي (René Caille) إلى أنه كان للعود العربي في غرب أفريقيا خمسة أوتار.⁽²⁾ ويبدو أن آلة العود عرفت بعد استقرارها في البيئة الأفريقية الجديدة تحولات هامة مسّت شكلها والمواد المستخدمة في صنعها.

- الطبول: تعتبر أوسع الآلات الإيقاعية انتشاراً في القارة الإفريقية، وقد حفل بن بطوطة بذكرها أكثر من مرة في رحلته، وقرن استعمالها بالمراسيم الملكية، فإذا جلس سلطان مالي في قبته ضربت الطبول، وإذا جلس بالمشور اعيد قرعها، وإذا خرج لصلاة العيد حف به الغلمان لكل واحد منهم طبل يقرعه⁽³⁾. والظاهر أن الطبول الأفريقية وما كان يرافقها من طقوس انتقل إلى بلاد المغرب منذ عهد المرابطين، فاتخذها هؤلاء بمثابة سلاح لهم يرهبون به عدوهم، ويحملونها في أيام سلمهم وحرهم.

5-الرقص والفولكلور: هناك مثل شائع يقول: "إذا غربت الشمس رقصت أفريقيا"، وقد وصف بن خلدون سكان جنوب الصحراء على أنهم أقرب للطيش واللهو، ولا شك أن كثيراً من الدراسات المعاصرة في أمريكا وأوروبا ربطت بين الأصول الزنجية لكثير من الفرق الموسيقية المنتشرة في أمريكا وبريطانيا وأستراليا في الرقص والغناء.

وهذا الأمر يقودنا للوقوف على كثير من أشكال الرقص والفلكلور الممارسة في الضفتين، وسنقف في هذا المقارنة بشكل خاص عند الرقصات الفلكلورية التي تنتشر بشكل أوسع في الجنوب الجزائري، وبالأخص في منطقة توات وجوارها، حيث نجد أن أغلب تلك الرقصات مستوحاة من العمق الاجتماعي والأنثروبولوجي لشعوب بلاد السودان، أو أن مصدرها تلك القبائل بالأساس، ومن تلك الرقصات الفلكلورية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-البارود: يُسمى على هذا النحو، نظراً لطلقات البارود التي تطلق من البنادق في ختام العرض، وهذه الرقصة الفلكلورية تؤدي في إطار جماعي منظم تستخدم فيها البنادق المعروفة محلياً باسم المكحلة وتُردّد فيها أبيات شعرية من المديح أو الحكم والأمثال الشعبية في الغالب، وعلى صوت الأهازيج الشعبية تنتهي

(1) -عبدالجليل التميمي، المرجع السابق، ص23.

(2) -René Caillé, Journal d'un voyage à Tombouctou, Paris 1824, p24.

(3) بن بطوطة، المصدر السابق، ص448.

بإطلاق البارود جماعياً⁽¹⁾. وقد اختلف في أصل ومصدر قدومها إلى توات بين من يرى أنها إفريقية في شكلها ومضمونها، وبين من يرى أنها عربية خالصة؛ على اعتبار اللغة المستخدمة في العرض وأن هناك فرقا وعروضا شبيهة في مناطق أخرى من بلاد المغرب لم تكن في تماس وتواصل مع قبائل الصحراء.⁽²⁾

-قرقابو: وهي رقصة ذات جذور أفريقية، ويُعرف أيضا بالعبيد يستعمل آلات تقليدية، مثل الدندون⁽³⁾، الأقلال⁽⁴⁾، القراقيب⁽⁵⁾، يتوارث هذه الرقصة أولاد العبيد جيلا بعد جيل، وتردّد مجموعة القرقابو مدائح دينية مختلفة، وتذكر خصال وكرامات الأولياء والصالحين، وتتم الرقصة عبر مراحل تنتهي برقصة سريعة تسمى دنقة.⁽⁶⁾

-إيقاع الحضرة: الحضرة بفتح الحاء وتسكين الضاد، مفهوم صوفي أخذ مُسمّاه من إدخال الأتباع والمريدين في أدائهم لبعض المدائح بحضور الإيقاع على الطبل والتوسل جماعيا، وتتم بوقوف مجموعتين متقابلتين وفي الوسط تتقدم رؤوس الفرقة، وهي تردد المدائح على أن يردد من ورائهم (جميع أعضاء الفرقة) المديح وأبياته الرئيسية، وسرعان ما يتغير نمط الإيقاع إلى إيقاع خفيف وسريع ينسجم مع كافة الأعضاء الى درجة الجذب أحيانا، وهذا النوع من الفن انتقل إلى كثير من بلاد السودان؛ بفعل الطرق الصوفية التي عرفت طريقها إلى هناك.⁽⁷⁾

أما مدينة غدامس، فقد كانت مصدراً أصيلاً للفن الشعبي، ففيها الكثير من الفرق الموسيقية المحلية، تختلف كل واحدة منها عن الأخرى من حيث الإيقاع والرقص والغناء. وكانت توجد بها فرقتين يعود أصلهما

(1) - فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 39. محمد حوتية، توات والأزواد، مرجع سابق، ج 2، ص 397-398.

(2) - أسماء باشيخ، الأنثروبولوجيا والصحراء، ط 1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2000م، ص 149.

(3) - الدندون، دف كبير مصنوع من اللوح السميك شكل دائري تغلف إحدى دفتيه بجلد سميك يقوم العازف بضمه الى حوضه بحزام يقوم بقرعه بالعصي.

(4) - الأقلال، مصطلح محلي يستعمل للدلالة على دف صغير دائري يكون في احجام مختلفة.

(5) - القراقيب، صفائح مزدوجة توضع في الايدي مصنوعة من الحديد او الزنك تصدر صوتا عند تلاقيها وتصادمها تماشيا وإيقاع

(6) - محمد حوتية، مرجع سابق، ج 2، ص 398. أسماء باشيخ، المرجع السابق، ص 151.

(7) - أسماء باشيخ، المرجع نفسه، ص 149.

إلى غرب أفريقيا؛ أحدهما رجالية والثانية نسائية، تقدم كل منهما رقصاتها في المناسبات.⁽¹⁾ ولا تختلف مدينة غات عنها كثيرا، حيث تقام الاحتفالات بالمناسبات الدينية والاجتماعية؛ ففي حفلات الأعراس مثلا، تقوم بإحيائها فرق موسيقية شعبية من غات ويتم سباق الخيول والمهاري في ألعاب شعبية، وترقص الزنجيات رقصة تُدعى "تميلولي"⁽²⁾.

6-الخاتمة: على الرغم من ضحالة المصادر والمراجع المكتوبة التي من شأنها أن تتجاوز حدود التسجيل العابر لبعض مكونات التراث الموسيقي في الدول الأفريقية – خاصة منها المجاورة للبلاد المغربية- فإن واقع هذا التراث، يؤكد بالفعل قيام كيان موسيقي متكامل وذاخر بمعطيات فنية غنية تجذرت أصوله في أغوار التاريخ الطويل لشعوب أفريقيا السمراء، وتهدأ له أن يتنامى عبر الأجيال المتعاقبة وأن يستفيد من المعطيات التي حملتها الثقافات والمعارف والبنىات الفنية المواكبة للفتح الإسلامي، كما استطاع هذا التراث أن يتحدى عوادي الزمن ويغالب تقلبات الأحوال؛ ليظل عالقا بالذاكرة الشعبية حتى وقتنا الحاضر، ولم يكن غياب وسائل التسجيل والتدوين لينال من ثراء الموسيقى الأفريقية ولا من تنوعها، مثلما لم يكن لانعدام الكتابة في أفريقيا أي أثر في حرمانها من ماضيها وتاريخها وثقافتها.

والظاهر أن هذا الموروث الثقافي المشترك في أصوله المتنوع في فروعه في حاجة إلى جمع وإعادة بعث إبراز ذلك التواصل والتناغم في الفنون بين سكان الصحراء المغربية والإفريقية، واستخدامه وفق ما يفيد بلاد المغرب في بُعدها الأفريقي وجعله أحد أدوات الترابط والتواصل التي تجسد عمق العلاقات بين الضفتين؛ وكرد على الدعوات والكتابات المغرضة من أجل إبعاد أفريقيا جنوب الصحراء عن بُعدها المغربي العربي والإسلامي

(1) – بشير قاسم يوشع، مدينة غدامس عبر العصور، ط1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، طرابلس 2011م، ص58.

(2) – رجب نجحي ضياف، مدينة غات، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، طرابلس 1999م، ص261.

قائمة المراجع:

- 1- ابن بطوطة، تحفة النظاري في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت 1987م.
- 2- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، 1340 – 1922م، ج3.
- 3- ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، 1979م.
- 4- أحمد أمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم ادبا شنقيط، ط3، مكتبة الوحدة المغربية بالدار البيضاء، 1960م.
- 5- أسماء باشيخ، الأنثروبولوجيا والصحراء، ط1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2000م.
- 6- إبراهيم طرخان، مملكة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973م.
- 7- البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
- 8- أبو عبيد الله البكري: المسالك والممالك، نشر البارون دي سلان، باريس 1857م.
- 9- بشير قاسم يوشع، غدامس ملامح وصوره، ط2، الناشر الشخصي، 2001م.
- 10- بشير قاسم يوشع، مدينة غدامس عبر العصور، ط1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، طرابلس 2011م.
- 11- بهيجة الشاذلي، الإسلام والدولة في إفريقيا جنوب الصحراء: الفكر السياسي عند عثمان بن فودي خلال القرن 19م، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، 2015م.
- 12- بوبه بن محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، نواكشوط، جامعة نواكشوط، 2000م.
- 13- جمال الدين الدناصوري، جغرافية فزان؛ دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي 1967م.
- 14- جوزفين كام، المستكشفون في أفريقيا، ترجمة: السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة 1983م.
- 15- حلبي شعراوي، الثقافة والمثقفون في أفريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2016م.
- 16- حماد الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيطي "موريتانيا"، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م.
- 17- رجب نجحي ضياف، مدينة غات، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.
- 18- شهاب الدين العمري ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المطبعة الشرقية، باريس، 1927م.

- 19- عبد الجليل التميمي، "الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب أفريقيا خلال العصر الحديث"، المجلة التاريخية المغربية، السنة الثامنة، العدد 21، 22، 1981م.
- 20- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م.
- 21 - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18-19م، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977.
- 22- مارمول كريخال، أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، المعارف الجديدة، الرباط 1984م، ج3.
- 23 - مجهول، تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان، مخطوطات الغرب الأفريقي، 1901م.
- 24- محمد أعيف: توات، مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2014.
- 25- عبد الحميد عابدين، دراسات سودانية، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ط2، 1972م.
- 26- عبد العزيز بن عبد الجليل، التراث المغربي الأفريقي المشترك في مجالي الموسيقى والغناء، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، طبعة المعارف الجديدة، الرباط 2014م.
- 27- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، مكتبة مدبولي، القاهرة (د.ت).
- 28- عوض محمد عوض، الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، 1965م.
- 29- لحسن تاوشخت، "سجل ماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء"، ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، مراجعة وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1999م.
- 30 - محمد بن عثمان الحشائشي، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تقديم وتحقيق: على مصطفى المصراتي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت 1965م.
- 31- محمد فال ولد سيدنا، الموسيقى الحسانية (أزوان)، وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان، موريتانيا، نوفمبر 2015م.
- 32- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
- 33- يحي بوعزيز، تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ط.خ، دار البصائر، 2009م.

التراث الفني المشترك بين ضفتي الصحراء (بلاد المغرب و أفريقيا جنوب الصحراء) من القرن 16 إلى القرن 19م -
-الفنون الشعبية أنموذجا-

- 34-صالح بوسليم، إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13هـ/ 18-19م، ط1، منشورات مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط، 2019م.
- 35-عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2008م، ج2.
- 36-محمد حوتية، توات والأزواد، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ج1.
- 37-الفتاح الشيخ، "مظاهر الحضارة الإسلامية في الممالك الافريقية"، مجلة قراءات افريقية، ع17، أكتوبر-ديسمبر 2012م.
- 38-ابن غازي، الروض الهتون في اخبارمكناسة الزيتون، مطبعة الأمنية، فاس1952م.
- المراجع الأجنبية:

- 1- Emerit, M, **Les Liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au 18e et au début du 19e siècle**, in travaux de l'Insti. De Rech., sah, T11, Alger1954.
- 2-René Caillé, **Journal d'un voyage à Tombouctou**, Paris 1824.